224307 ـ لماذا لم يصم النبي صلى الله عليه وسلم صيام داود عليه السلام مع إخباره بأنه أفضل الصيام ؟

السؤال

أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى صيام داود ، وقال : إنه خير الصيام ، لكنه لم يصم بتلك الطريقة رغم قدرته على ذلك ، بمعنى أن من يقدر على صيام داود فالأولى أن لا يصوم ، تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أليس كذلك ؟ ثم من نحن لنصوم بتلك الطريقة (حتى وإن وردت في الأثر) في حين أن أخشى الناس لله وأتقاهم له ، اختار أن لا يصوم على ذلك المنوال ؟ أليس الحبيب المصطفى أولى بالاتباع من داود عليه السلام ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يترك بعضا من الأعمال الفاضلة ، وهو يحب أن يفعلها ، أو أن يفعلها الناس ، لأسباب عديدة ، منها: أن يخفف على أمته ؛ لأنه إذا فعل الفعل الفاضل ، وداوم عليه؛ كان فيه نوع تشديد ومشقة على من يريد الاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

جاء في " زاد المعاد في هدي خير العباد " (2 / 96): " وَقَدْ كَانَ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْعَمَلِ ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَهُ ؛ خَشْيَةَ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ (أي : الكعبة) خَرَجَ مِنْهُ حَزِينًا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ شَقَقْتُ عَلَى أُمَّتِي) " انتهى.

وقال ابن حجر الهيتمي – رحمه الله ـ : " صيامه في السنَة والشهر على أنواع ، ولم يكن يصوم الدهر ، ولا يقوم الليل كله ، وإن كان له قدرة على ذلك ؛ لئلا يُقتدى به فيشق على أمته ، وإنما كان يسلك الوسط ، ويصوم حتى يُظن أنه لا يفطر , ويفطر حتى يُظن أنه لا يصوم ، ويقوم حتى يُظن أنه لا ينام , وينام حتى يُظن أنه لا يقوم " .

انتهى من " الفتاوى الفقهية الكبرى " (2 / 53) .

ومنها:

خوفه أن يفرض هذا العمل على الأمة , كتركه صلى الله عليه وسلم لصلاة التراويح في رمضان خوفاً من أن تفرض على الأمة .

ومن هنا نعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يواظب على صيام داود عليه السلام ، مع إرشاده إليه ، وإخباره بأنه أفضل الصيام ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أفضل الصيام صيام داود : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) ؛ وذلك لئلا يشق على أمته , لأن أهل الإيمان يتسارعون في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم , وصيام يوم بعد يوم يشق عليهم .

وقد سبق بيان ذلك في الفتوى رقم : (175867).

ومنها :

أنه صلى الله عليه وسلم كان يترك بعض الأعمال أحيانا لانشغاله بما هو أهم وأفضل منها ، فمن ذلك : أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في العمرة في رمضان ، وأخبر أنها تعدل حجة في الثواب ، ومع ذلك لم يعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان ، لأنه كان يشتغل في رمضان بعبادات هي أهم من العمرة ، كما ذكره ابن القيم في " زاد المعاد " في الموضع الذي سبقت الإشارة إليه .

وعلى هذا ؛ فمن أراد أفضل الصيام فعليه بصيام يوم وإفطار يوم كفعل داود عليه السلام , ويعتبر بهذا ممتثلا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر أنه أفضل الصيام ولكنه لم يفعله للأسباب التي ذكرناها آنفا.

وينظر للفائدة : جواب السؤال رقم : (47819) ، ورقم : (32469) .

والله أعلم .